

صيغة الأمر الصريح (افعل) في القرآن الكريم حضورها ودلالاتها سورة "الأعراف" نموذجًا
**The Form of Explicit Order (do) in the Holy Qur'an: Its
Presence and its Indications in Surah of "Al-A'raf"
Model**

* عبد الحميد بوتريه

Abdelhamid BOUTERA

جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي / الجزائر

University of Shaheed Hama Lakhdar, El-oued , Algeria

hamid752007@yahoo.com

تاريخ النشر: 2021/03/30

تاريخ القبول: 2020/12/21

تاريخ الإرسال: 2020/11/04

مُلَخَّصٌ مِنَ
مَجَلَّةِ إِشْكَالَاتٍ فِي
اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ

يُعدُّ أسلوبُ الأمرِ واحدًا من الأساليبِ الطلبيةِ الواسعةِ الاستعمالِ، الكثيرةِ التداولِ في كلامِ العربِ، وقد أُستعملَ بصيغٍ مُتعدِّدةٍ، فَحَقَّقَ بِذَلِكَ أَغْرَاضَهُ، وَبَلَغَ مَقَاصِدَهُ. وَمِنَ الصَّيغِ الْأَكْثَرِ حُضُورًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ صِيغَةُ الْأَمْرِ الصَّرِيحِ (افْعَلْ)، وَلَيْسَ كَأَنَّ حُضُورَ الْأَمْرِ بِصِيغَتِهِ الصَّرِيحَةِ وَاضِحًا فِي الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّ حُضُورَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَكْثَرُ وَضُوحًا وَأَوْضَحَ بَيَانًا، وَهُوَ مَا يَعْكُسُ أَسْرَارًا مِنَ الْمَعْنَى أَسْتَوْدَعَتْ فِيهِ، يَكْشِفُ عَنْهَا السِّيَاقُ، وَلِهَذَا الْغَرَضِ غُنِيَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ بِرُصْدِ وَتَتَبُّعِ الْأَمْرِ بِصِيغَتِهِ الصَّرِيحَةِ وَدَلَالَتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ فِي سُورَةِ "الْأَعْرَافِ" كَنُموذجٍ، السُّورَةُ الْمَكِّيَّةُ الْمَبْدُوءَةُ وَالْمُخْتَوِّمَةُ بِالذِّكْرِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَدْ اعْتَمَدْنَا الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ الْمَشْفُوعَ بِالتَّحْلِيلِ؛ حَيْثُ عَرَّفْنَا الْأَمْرَ وَصِيغَتَهُ وَدَلَالَتَهُ وَلَا سِيَمَا صِيغَةَ الْأَمْرِ الصَّرِيحِ، وَتَتَبُّعَ حُضُورِهَا فِي آيَاتِ السُّورَةِ. وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَا تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ الدِّرَاسَةُ هُوَ الْحُضُورُ الْمَكْتُفَى لَهُ بِدَلَالَتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالَّتِي تَعَكِّسُ بِدَوْرِهَا بِلَاغَةً عَالِيَةً فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ، وَإِعْجَازًا فِي أَسَالِيْبِهِ، وَإِحْكَامًا فِي مَبَانِيهِ.

الكلمات المفتاح : أمر- أفعل- دلالة - طلب - إرغام

Abstract :

The imperative style is considered one of the widely used styles among Arab speakers. It was used in multiple formulas to achieving its objectives and reaching its purposes. Among the most present forms in the wording of the Arabic language is the form of the explicit imperative (do), and while the presence of the command in its explicit form is clear in Arabic, its presence

* د عبد الحميد بوتريه - hamid752007@yahoo.com

in the Holy Qur'an is more clearer and the meanings in the Holy Qur'an are more explicit and more clearly reflects the meaning in it. For this purpose, this study is concerned by tracking the imperatives in its explicit form and its various connotations in Surat Al-A'raf as a model. We adopted the descriptive approach accompanied by some analysis, where in we defined the imperative form, its formulas and its connotations, especially the explicit form and traced its presence in the verses of the surah. The most important thing the study has achieved is the intense presence of the imperative form with its various connotations, which in turn reflect a high rhetoric in the language of the Qur'an and the miraculousness of its methods and the wisdom of its buildings.

Keywords: order - do - signify- command - obligation



أولاً - مقدمة:

لقد تميّزت اللغة العربيّة عن سائر اللغات البشرية بما تتمتّز به من مميّزات؛ فهي مستودع ذخائر الأُمّة، وفكرها اللغويّ الناطق، وهي أخصر اللّغات في إيصال المعاني، وأجزؤها لفظاً، وأمتنها تركيباً، وأوضحها بياناً، وأحسنها بديعاً، وأعذبها إيقاعاً، وأجملها أسلوباً .

ومن الأساليب المتميّزة في الاستعمال، الواسعة التداول، والأكثر دوراناً في كلام العرب أسلوب الأمر. وهو من الأساليب الإنشائيّة التي اشتغل بدرسه علماء النحو والصرف من حيث البنية والوظيفة، واشتغل به علماء المعاني من حيث الدلالة والمعنى، ولئن كان حضور الأمر بصيغته المختلفة في العربية يعكس تنوعاً في الأسلوب ودقّة في التصوير وقدرةً على التعبير، فإنّ حضوره في القرآن الكريم وبصيغته الصريحة أكثر وضوحاً، وأوضح بياناً وقد شغل مساحةً واسعةً بين سورته وآياته، وهو ما يحمل وراءه معنى دقيقاً ونكتة بلاغية، ضبطه السياق وأحكمته المناسبة وعرفته قرائن الأحوال.

إذاً وبغية الكشف عن هذا اتخذنا سورة "الأعراف" نموذجاً لهذه الدراسة، السورة المكّيّة المستفتحة والمختومة بالدعوة إلى التوحيد توحيد الله عزّ وجلّ، وقد بُنيت بأسلوبٍ سرديّ قصصيٍّ رائعٍ جميلٍ في اختياره، قويٍّ في تأثيره، سردٍ تتابعيٍّ للأنبياء والرّسل من آدم عليه السّلام إلى خاتم الأنبياء محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ورسالتهم جميعاً الرسالة الموحّدة الموحّدة المتضمّنة دعوة الأقبام والأُمم إلى نبت الشّرك والوثنية، وتوحيد الله عزّ وجلّ.

وللكشف عن حضور الأمر بصيغته الصريحة (افعل) في السورة، وفهم معناها وكشف أسرارها، تحدت إشكالية الدراسة في السؤال الآتي: كيف كان حضور صيغة الأمر الصريح (افعل) أثره في سورة "الأعراف" بنية ومضموناً؟ وما الأحكام والمقاصد والدلالات التي تحملها؟

وليسط البحث في هذا عرفنا الأمر لغةً واصطلاحاً، وصيغته المختلفة، ثم وقفنا على دلالاته الظاهر منها والخفي، وعرضنا السورة من حيث التسمية والمحتوى، ومن ثم تتبعنا آيات السورة برصد الأمر الوارد فيها على صيغة (افعل) ودلالاته المختلفة، وهذا بالنظر إلى سياقاته والقرائن الدالة على معناه ومقصده.

ثانياً - مفهوم الأمر:

1- لغةً: أمر الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضد النهي، والأمر النماء والبركة بفتح الميم، والمعلم والعجب.

فالأمر الذي هو نقيض النهي قولك: افعل كذا، قال الأصمعي: يُقال: لي عليك أمرٌ مطاعة، أي لي عليك أن أمرك مرةً واحدةً فتطيعني، وقال ابن الأعرابي: أمرت فلاناً أي جعلته أميراً، وأمرته وأمرته كلهن بمعنى واحد.¹

والأمر مصدر أمر، وأولوا الأمر: الرؤساء والعلماء، والأمره محركاً: الحجاره والعلامه، والرايه جمع الكل، أمر والأمره والأمار والأمار بفتحهما: الموعد والوقت والعلم.²

فالأمر لغة إذن يحمل معاني عدة لعل أهمها: النماء والبركة، المعلم، والعجب، والتكثير، والطلب وهو المعنى الذي يرتبط بموضوع الدراسة.

2- اصطلاحاً:

الأصل في الأمر طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام إلا إذا دل دليل على خروجه إلى معنى آخر غير ذلك المعنى. وقد عرف علماء اللغة من نحاة وبلاغيين قديماً وحديثاً الأمر تعريفات عدة نذكر منها:

يقول سيبويه: « وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب، واقتل، واضرب. »³

وعرفه الرضي الاسترابادي: « صيغةً يصح أن يُطلب بها الفعل، سواءً طلب به الفعل على سبيل الاستعلاء وهو المسمى أمراً عند الأصوليين نحو قولك (اضرب على وجه الاستعلاء)، أو طلب به

الفعل على وجه الخضوع من الله تعالى وهو الدعاء، نحو اللهم ارحم، أو من غيره وهو الشفاعة».⁴

أما السكاكي فقال عنه: « هو في لغة العرب عبارة عن استعمالها، أعني استعمال نحو: لينزل، وانزل، ونزل، و صة على سبيل الاستعلاء... ولا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء يُورث الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الاستعلاء بمن هو أعلى رتبة من المأمور استُتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهاتٍ مختلفة، وإلا لم يستتبعه».⁵

ويقول أحمد خليل موضّحاً الاستعلاء: « الغرض من ذكر كلمة الاستعلاء أن القصد أولاً من الأمر حمل المخاطب على الامتثال به وتنفيذه، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان الأمر له سلطاناً على من وُجّه إليه الأمر.» والاستعلاء هنا أن يرى الأمر نفسه أعلى مرتبة من المخاطب سواء أكان أعلى مرتبة منه في الواقع أم لا⁶. فأغلب العلماء نحاة وبلاغيين قديماً وحديثاً يُجمعون على أن الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام وهذا هو المعنى الأصلي له إلا إذا دلّ دليل أو قرينة على غير ذلك المعنى.

ثالثاً- صيغ الأمر:

له أربع صيغ يُمكن التوصل بواسطتها إلى طلب الفعل، والأمر بالقيام به وهي:

1- صيغة الأمر الصريح (افعل): لفظ الأمر الصريح هو الفعل الدالّ بذاته على الطلب دون زيادة نحو (اكتب) و(احفظ)⁷. فهو يدلُّ على مجموع شيئين: إفهام الكلمة الأمر اللغوي، وهو طلب شيء مع قبوله ياء المخاطبة أو نون التوكيد.⁸

كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النور/56)

2- المضارع المقترن بلام الأمر: يتم الأمر في هذا النمط باللام، وهي التي تُسمّى بـ"لام الأمر"، أو "لام الطلب"⁹. كقوله تعالى: ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ (الطلاق/7)

3- اسم فعل الأمر: قد ورد ذكر هذه الأسماء في كتب النحو القديمة منها والحديثة، ومن هؤلاء النحاة جلال الدين السيوطي، قال في تعريفه: « هي أسماء قامت مقامها أي مقام الأفعال في العمل غير متصرفية »¹⁰.

أما عباس حسن فيقول فيه: « اسمٌ يدلُّ على فعلٍ مُعَيَّنٍ، ويتضمَّنُ معناه وزمنه وعمله من غير أن يقبلَ علامته، أو يتأثَّرَ بالعوامل »¹¹. ومثاله قوله تعالى: ﴿ أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَفْرُؤُوا كِتَابِيَهٗ ﴾ (الحاقة 19) هاؤم بمعنى خُدُوا أو تعالوا.

4 المصدر النائب عن فعل الأمر: هو الاسم الذي يدلُّ في الغالب على الفعل المجرد من الزمن¹²، ويقوم مقام فعله في أداء وظيفة الأمر، والغالب أن يكون منصوبًا بالفعل محذوف وجوبًا، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (الإسراء 23) والتقدير أحسنوا إلى الوالدين إحسانًا.

رابعًا- دلالات الأمر :

الأمر في الأصل هو ما دلَّ على طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، غير أن خلافًا لذلك فإنَّ صيغته قد تخرج عن معناه الحقيقي إلى معاني أخرى يحدِّدها السياق وقرائن الأحوال، ومن أكثر معاني الأمر التي يحدِّدها سياق الكلام نذكر:

1- الدعاء: كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا اغْنِمْ لِي وَلِوَالِدَيَّْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم 41)
2- الالتماس: كقولك لصديقك: أعزني كتابًا.¹³

3- النصيح والإرشاد: كقول أحد العلماء: « يا بني استعدُّ بالله من شرار الناس، وكُنْ من خيارهم على حذرٍ. »¹⁴

4- التخيير: كقول المتنبي:

عش عزيزًا أو مُتً وأنت كريمٌ بيِّن طعنِ القنا وحققِ البُنود¹⁵

5- التهديد: كقوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت 40)، ومن الأساليب الأخرى أيضًا: التميي، التعجيز، التسوية، التحقير، التعجب والإنذار.¹⁶

خامسًا- سورة الأعراف تسميتها ومحتواها:

سُمِّيَتْ هذه السورة بسورة "الأعراف" لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سورٌ مضروبٌ من الجنة إلى النار يُجولُ بين أهلها¹⁷، أهل الجنة وأهل النار وقد اختلفت أقوال المفسرين في أصحاب الأعراف، مَنْ هُمْ؟ إلاَّ أنَّها تكاد تتفق على معنى واحدٍ، وهو أنَّهم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم.¹⁸ هذه السورة من السور المكيَّة، وهي من السور السبع الطوال؛ فقد بلغ عدد آياتها مئتين وست آيات، وقيل مئتين وخمسة، وقيل مئتين وسبعة.¹⁹

أما من حيث المِخْتَوَى فَنُجْمِلُ ما جاء فيها فيما يأتي:

- لقد تعرّضت السّورة الكريمة في بدء آياتها للقرآن العظيم، وأمرّ الناس بالتمسك بما جاء فيه من أوامر وبيّنات. ولفتت أنظارهم إلى نعمة خلقهم من أبٍ واحدٍ المتمثل في آدم عليه السلام²⁰.
- التحذير من مكاييد الشيطان، العدو المتربّص بالإنسان، وهذا بعد نداءات لأبناء آدم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ (الأعراف 27).²¹
- كما تعرّضت السّورة لمشهدٍ من مشاهد يوم القيامة؛ مشهد الفرق الثلاثة، وهم أهل الجنة، وأهل النار، وأهل الأعراف، وما يدور بينهم من مُحَاوِرَةٍ ومُناظِرَةٍ.²²
- وتناولت السّورة قصصَ الأنبياء ابتداءً بشيخ الأنبياء نُوح عليه السلام، وما لاقاه من قومه من عنادٍ، وفصلت الذكر في قصّة موسى مع الطاغية فرعون.²³
- إنّ أكثر ما اهتمت به السّورة هو الدعوة إلى التوحيد، حيث بُدِئَتْ وخُيِّمَتْ بإثبات عقيدة التوحيد؛ فكانت الدّعوة إلى الإيمان بوحداية الربّ المعبود.²⁴

سادساً- صيغ الأُمر في السّورة ودلالاتها:

- 1- قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الآية 3). أمرٌ باتّباع القرآن والسّنة، وهو أمرٌ للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأُمَّته، وقيل هو أمرٌ للأمة بعد أمره صلّى الله عليه وسلّم بالتبليغ²⁵، ونهي عن اتّباع أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك وعبادة الأوثان.²⁶ والأمرُ بالاتباع أمرٌ إلزامٍ وتكليفٍ للمسلمين بوجوب العمل بأوامر القرآن والسّنة. واتباع ملّة الإسلام والقرآن بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.
- 2- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّن السَّاجِدِينَ ﴾ (الآية 11) قيل المعنى: لقد خلقنا الأرواح أولاً، ثمّ صوّرنا الأشباح، ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، أي أمرناهم بذلك، فامتثلوا الأمر، وفعلوا السجود بعد الأمر.²⁷ فأمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فقابلوه بالامتثال لأنّه أمرٌ من جهة الحتم والإلزام، وليست غايته سجود خضوعٍ وتذللٍ لآدم، بل تكريماً وتفضيلاً له.
- 3- قال تعالى: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (الآية 13)، جاء أمر الله تعالى لإبليس بالهبوط من الجنة، اهبط من الجنة فلا يصحّ، ولا يستقيم،

ولا ينبغي أن تتكبر عن طاعتي وأمرني وتسكن دار قدسي، وأخرج منها ذليلاً حقيراً²⁸، والغرض من هذا الأمر اهبط وأخرج الإهانة والتحقير ذلك جزاء إبليس عند تكبره، ولمعصيته الله تعالى.

4- قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الآية 19)، يُخاطبُ اللهُ تعالى آدم عليه السلام، ويذكر أنه قد أباح له ولزوجته حواء الجنة، وأن يأكلا منها جميعاً ثمارها إلا شجرة واحدة، فجاء الأمر الأول اسكن والأمر الثاني (كُلا) على صيغة لفظ الأمر الصريح (افعل)، أمرٌ بفعل السكن وبفعل الأكل، فالأمر الأول اسكن أمرٌ تقرير، أي طلب الاستقرار في الجنة رغم أنه مستقرٌ فيها من قبل، وهو ما يجعل في طياته الإكرام، وفي الوقت نفسه زيادة إهانة وحسرة على إبليس من الجنة، وكذا في الأمر الثاني (كُلا) لأدم وزوجته إباحة ثمار الجنة والتمتع بها عقب سكنه فيها .

5- قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الآية 59)، في هذه الآية لما ذكر تعالى قصة آدم عليه السلام في أول السورة وما يتصل به وفرغ منه، شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام: الأول فالأول، فابتدأ بذكر نوح عليه السلام، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام²⁹، الذي أرسله الله للعباد رحمةً وخيراً بدعوته لتوحيد الله، وعبادته دون الإشراك به. فالأمر في هذه الآية (اعبُدوا) صادر عن نبي الله نوح عليه السلام مخاطباً قومه، وقد جاء بصيغته الصريحة مُستنداً إلى واو الجماعة العائد على قومه عبدة الأصنام، والدلالة المستفادة من هذا الأمر هي النصح والإرشاد والتنبيه والإيقاظ لهؤلاء الغفلة الضالين لعلهم يعبدون الله وحده. وهو أحق بأن يُعبد دون غيره، فهو من خلق، وهو من أبدع، وهو من يُحبي ويميت، ويبيد الأمر والنهي.

6- قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الآية 65) يخبرُ اللهُ تعالى عن قصة نبيه هود عليه السلام مع قومه عاد، إذ دعاهم أيضاً إلى عبادة الله كما كانت دعوة نوح عليه السلام³⁰، فأمر هود عليه السلام قومه بتوحيد الله وعبادته وحده أمرٌ إلزام يجب الامتثال له والالتزام به .

7- قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الآية 70) قالت عادٌ له: أَجِئْتَنَا تنوعدُنَا بالعقاب كي نعبد الله وحده، ونُحجر عبادة الآلهة والأصنام التي عبدها آبائنا؟ فَأْتِنَا بالعذاب إِنْ كُنْتَ صادقاً فيما تقول³¹، فالأمر

(فَأْتِنَا) من القوم لِنَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَرَجَ عَنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ إِلَى مَعْنَى التَّعْجِيزِ وَالتَّحْدِيهِ لِطَلْبِهِمْ اسْتِعْجَالَ الْوَعِيدِ بِالْعِقَابِ وَالْعَذَابِ.

8- قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَیْتُمْ أَمْرًا لَّوْنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (الآية 71)، قال هُودٌ لِقَوْمِهِ قَدْ وَجِبَ وَحَقٌّ عَلَيْكُمْ، أَوْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ أَنْ الْمَتَوَقَّعِ كَالْوَقَعِ عَذَابٍ مِنَ الْارْتِجَاسِ³²، إِذَا انْتَظَرُوا مَا طَلَبْتُمُوهُ مِنَ الْعَذَابِ فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ وَهُوَ وَقَعٌ بِكُمْ لَا مَحَالَةَ. جَاءَ الْأَمْرُ (انْتَظَرُوا) بِصِيغَةِ الْأَمْرِ الصَّرِيحِ (افْعَلْ)، وَهُوَ لِلتَّهْدِيدِ مِثْلَ قَوْلِهِ (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)، وَالانْتَظَارُ افْتِعَالٌ مِنَ النَّظَرِ بِمَعْنَى التَّرَقُّبِ، كَأَنَّ الْمُخَاطَبَ أَمَرَ بِالتَّرَقُّبِ فَارْتَقَبَ، وَهُوَ مَعَهُمُ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فِي مَقَامِ أَدَبٍ مَعَ اللَّهِ.³³ وَهَذَا التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ عَاقِبَةُ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَتَكْذِيبِ رِسُولِهِ.

9- قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الآية 84)

فِي هَذِهِ الْآيَةِ خُطَابٌ لِلرَّسُولِ أَوْ لِلسَّمَاعِ قِصَّةَ قَوْمٍ لَوَطَ كَيْفَ كَانَ مَالٌ مِنْ أَجْرَمٍ، وَفِيهِ إِيقَاطٌ وَازْدِحَاجٌ أَنْ تَسْلُكَ هَذِهِ الْأُمَّةُ مَسْلِكَ الْمُجْرِمِينَ كَقَوْمِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ وَغَيْرِهِمْ.³⁴ وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي هَذَا أَنَّ اللَّهَ يَخْبِرُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ، وَقَدْ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَجَّيْلِ مَنْضُودٍ، وَيَأْمُرُهُ بِالنَّظَرِ (انظُرْ) إِلَى عَاقِبَةِ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ الَّذِينَ رَكِبُوا الْفَوَاحِشَ وَاسْتَحَلُّوا الْحَارِمَ، كَيْفَ كَانَتْ؟ وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ صَارَتْ؟ هَلْ كَانَتْ إِلَّا الْبُورَ وَالدَّمَارَ؟!³⁵. فَلَا أَمْرٌ الصَّرِيحُ (انظُرْ) مُوجَّهٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ لِلإِرْشَادِ وَالإِعْتِبَارِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ إِيرَادِ التَّنْذِيلِ بِالإِعْتِبَارِ عَقِبَ الْمَوْعِظَةِ، كَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْمَلَ الْخُطَابَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ التَّسْلِيَةِ لَهُ عَلَى مَا يُلَاقِيهِ مِنْ قَوْمِهِ الْمَكْذِبِينَ.³⁶

10- قال تعالى: ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الآية 126) انْتَقَلَ خُطَابُ السَّحَرَةِ مَعَ فِرْعَوْنَ إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ، وَهَذَا فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ (أَفْرِغْ) وَالْأَمْرُ الثَّانِي (تَوَقَّنَا)، فَالدُّعَاءُ أَفْرِغْ بِمَعْنَى اجْعَلْ لَنَا طَاقَةً لِنَتَحَمَّلَ مَا عَذَّبْنَا بِهِ فِرْعَوْنَ فِي وَعِيدِهِ، لَا تُطِيقُهُ النُّفُوسُ، وَهَذِهِ الطَّاقَةُ طَاقَةُ صَبْرٍ، وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ، شَبَّهَ خَلْقَهُ بِنُفُوسِهِمْ لِإِفْرَاقِ الْمَاءِ فِي إِنَاءٍ عَلَى طَرِيقَةِ تَخْيِيلِيَّةٍ³⁷، وَالْأَمْرُ الثَّانِي (تَوَقَّنَا) مُسْلِمِينَ لَا كَافِرِينَ، مَتَمَسِّكِينَ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ غَيْرِ ضَالِّينَ أَوْ مُشْرِكِينَ. فَلَا أَمْرَانِ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي (أَفْرِغْ، تَوَقَّنَا) كِلَاهُمَا

دعاءً وقد جاء بصيغة الفعل الصريح (افعل)، دعاء بالصبر والتجالد لتحمل العذاب والتشكيل من فرعون لهم، ودعاء بأن يُميتَهُم الله مسلمين ويحسن خاتمتهم، والفوز بالآخرة دار الخلود والبقاء.

11- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الآية 151) لما تحقق موسى براءة ساحة هارون عليه السلام من التقصير طلب المغفرة له ولأخيه³⁸، وطلب أن يدخله الله في رحمته بمزيد من الإنعام والرحمة، فالله أرحم بعباده من رحمتهم على أنفسهم³⁹.

يقول أبو حيان الأندلسي: «لما اعتذر إليه أخوه استغفر لنفسه وله. قالوا: واستغفاره لنفسه بسبب فعلته مع أخيه وعجلته في إلقاء الألواح، واستغفاره لأخيه فعلته في الصبر لبني إسرائيل. قالوا: ويمكن أن يكون الاستغفار مما لا يعلمه»⁴⁰. فالخطاب في هذه الآية الكريمة صادر من موسى عليه السلام إلى الله تعالى بأسلوب الأمر في معنى غير معناه الأصلي بصيغته الصريحة (اغفر) و(ادخل)، وهو دعاء اتسم بالاستعطاف والتذلل والاستكانة إلى الله عز وجل طلبا لمغفرته ورجاء في رحمته وطمعا في رضوانه، وهو أرحم الراحمين.

سابعاً - خاتمة:

من خلال الدراسة والبحث لما جاء في سورة "الأعراف"، وبعد استقراء وتبني ما جاء فيها من أمر على صيغته الصريحة (افعل) نلمس حضوراً مكثفاً، وتوزيعاً منتظماً له عبر آياتها، ومُنسجماً مع أحكامها ومقاصدها، وفق ما يتناسب وما فيها من سرٍ وإخبارٍ، وقصصٍ وأحداثٍ، وتشريعٍ وأحكامٍ، فضلاً عن موضوعها الرئيس على ما فيه من دعوة إلى توحيد الله، ونبذ الوثنية والأصنام. فمما تمت دراسته في هذا المقال من آيات تضمنت الأمر هو بعض مما ورد فيها كشواهد على الخطاب الصريح في صورته المباشرة خطاب توحيد الله، والتمسك بالعقيدة الصحيحة، ومخاربة الضلال والشرك، ترسيخاً للحجة، وتفنيداً لكل عُذرٍ، ودخضاً لكل ادعاء، وإنعاداً لكل تأويل؛ فالصيغة الصريحة بملفوظها أنسب وأجدى لهذا الغرض، على تسلسل توازده، وحسن توظيفه؛ أمر بالتمسك بالقرآن وأمر للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، ثم أمر بالهبوط في الأرض لآدم وحواء وإبليس، ثم توازد الأنبياء ودعواتهم من شيخ الأنبياء نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، واشتراكهم جميعاً في دعوة التوحيد لهذه الأمم المتعاقبة عبر الأزمان والأمصار.

أضِفَ إلى ذلك فقد دلَّ الأمرُ الصَّريحُ في الصُّورة في غالبه على الإلزام والوُجوبِ، وهو ما ناسبَ السُّورةَ، فهي السُّورةُ المَكِّيَّةُ نزلتْ في بداية البعثة، وكانت غايَتُها أولاً وأخيراً توحيد الله خاصةً؛ فكانتِ الأوامرُ بالعبادةِ والتوحيدِ وذكرِ الله، والامتنالِ لأحكامِ هذا الدين. إلا أنَّ هذا لمْ يَعدْ منْ خُروجِ الأمرِ إلى معاني عديدهِ، ومقاصدَ مختلفةٍ؛ منها الدُّعاءُ الذي كان جُلُّهُ صادراً من الأنبياءِ نحو المؤلى عزَّ وجلَّ، أو منْ أتباعِهِم الذين اهتدوا سبيلَ الرِشادِ، فيُقْبَلُونَ على الله بالتذلُّلِ خاضِعِينَ مُسْتَغْفِرِينَ مُتَصَبِّرِينَ مُحْتَسِبِينَ، زيادةً على المعاني الأخرى كالالتماسِ، والتحقيرِ، والإكرامِ، والتعجيزِ، والتهديدِ، والإرشادِ، وغيرها، والتي تَعكِّسُ بِدَوْرِهَا بلاغةً عاليةً في لغةِ القرآنِ وإِعْجَازاً في أساليبه، وإحكاماً في مبانيه وأسراراً في معانيه. يقولُ الرافعي: «هذا القرآنُ الكريمُ ليسَ عن طَبْعِ إنسانيٍّ محدودٍ بأحوالِ نفسيةٍ لا يُجاوِزُها، فهو يَدَاوِلُ المعاني ويُريغُ الأساليبَ ويُحاطِبُ الرُوحَ بِمَنْطِقِهَا مِنْ ألوانِ الكلامِ لا مِنْ حُرُوفِها، وهو يتألَّفُ الناسَ بِهَذِهِ الخصوصيةِ فيه، حتى ينتهي بِهَمِّ بِمَا يَفْهَمُونَ إلى ما يَحِبُّ أَنْ يَفْهَمُوا...»⁴¹.

هوامش:

- ¹ ينظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1979م، 1/137-138
- ² مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، دت، باب الراء فصل الهمزة، باب الراء فصل الهمزة، ص445
- ³ سيبويه أبو بشر عثمان بن قنبر، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط3، 1408هـ/1988م، 1/12
- ⁴ الرضي الاسترأبادي، شرح الرضي على الكافية، تص وتحر يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قارونوس بنغازي، ط2، 1996م، 4/123
- ⁵ يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1407هـ/1987م، ص318
- ⁶ ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط2، دت، ص75
- ⁷ المرادُ بذلك هو أن تكون دلالته ذاتيةً، أي مُستمدَّةً من صيغته نفسها، لا من زيادة الشيء عليها كزيادة اللام في (لِتَخْرُجْ) ولمزيد من الشرح ينظر: عباس حسن، هامش النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، دت، 1/64

- ⁸ ينظر: عباس حسن، المصدر نفسه، 64/1. وابن عقيل بماء الدين عبد الله الهمذاني، شرح ابن عقيل، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1400هـ/1980م، 23/1-24
- ⁹ ينظر: يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ص318
- ¹⁰ جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، تح عبد العلي مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، دط، 1979م، 119/5
- ¹¹ عباس حسن، النحو الوائي 141/4-142
- ¹² ينظر: عباس حسن، المصدر نفسه، 270/3
- ¹³ ينظر: عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الانشائية في البلاغة العربية، مطبعة السعادة، القاهرة مصر، ط1، 1410هـ/1989م، ص310. و عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، دط، 77-78
- ¹⁴ أحمد مطلوب وحسين البصير، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1420هـ/1999م، ص126
- ¹⁵ عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الانشائية في البلاغة العربية، ص299
- ¹⁶ ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص78-83. و أبو سريع ياسين عبد العزيز، الأساليب الانشائية في البلاغة العربية، ص303-312
- ¹⁷ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت لبنان، ط4، 1981م، 435/1
- ¹⁸ ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، 1420هـ/1999م، 417/3-421
- ¹⁹ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م، ج8ق2، ص7
- ²⁰ ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 434/1
- ²¹ محمد علي الصابوني، المصدر نفسه، 7/3
- ²² محمد علي الصابوني، المصدر نفسه، 434-435/1
- ²³ ينظر: محمد علي الصابوني، قيس من نور القرآن الكريم، مكتبة رحاب، الجزائر، مطبعة أمزيان، ط2، 1989م، 8/3
- ²⁴ ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 435/1
- ²⁵ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية والتفسير، تح عبد الرحمان عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 1994م، 264/2

- ²⁶ محمد بن جرير الطبري، مختصر تفسير الطبري، تح بشار عواد معروف وعصام فارس الحريستاني، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1415هـ/1994م، 400/3
- ²⁷ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية والتفسير، 269/2
- ²⁸ ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 438/1
- ²⁹ ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 431/3
- ³⁰ ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، تح مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة السعودية، ط3، 1408هـ/1988م، ص119
- ³¹ محمد بن جرير الطبري، مختصر تفسير الطبري، 457/3
- ³² ناصرالدين أبي الخير عبد الله البيضاوي، دت، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إ ع وتق محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ط1، 19/3
- ³³ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 213/8
- ³⁴ ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، تح علي محمد معوض وغيره، ط1، 1413هـ/1993م، 338/4
- ³⁵ ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة مصر، ط1، 1422هـ/2001م، 310-309/10
- ³⁶ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 238/8
- ³⁷ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، 56/8
- ³⁸ ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 474/1
- ³⁹ ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 28/3
- ⁴⁰ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 395/4
- ⁴¹ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط9، 1973/1393م، ص207